الأمثال والحكم الشعبية

- دراسة سوسيودينية-

أ / لويزة مكسح – جامعة باتنة -

ملخص:

الأمثال والحكم مرآة تعكس طبيعة الشعوب وخلاصات تجاربه، استطاع العقل البشري أن يصوغها بجمل قصيرة مختصرا بذلك قصصا طويلة،وهي مفتاح أساسي وهام في فهم الثقافة الإنسانية وتفسير الواقع الاجتماعي، إذ الحياة الإنسانية لا تفهم إلا من خلال القيم التي تحرك الحياة والتي تظهر في السلوكات.

واستخدام الأمثال في القرآن الكريم وكثرة التأليف فيها دلالة واضحة على أهميتها، من هنا كانت الرغبة في جمع عينات من أمثال وحكم العامة من الناس بهدف الكشف عن القيم التي تتضمنها والبحث عن وظيفتها في توجيه سلوك الأفراد وتحقيق الاستقرار الداخلي للجماعة، وإمكانية اعتبارها معايير أخلاقية تكون ضابطا للأخلاق.

بعد تحليل وتصنيف أمثال وحكم العينات توصلت إلى جملة من النتائج التي كانت مترجمة للجزء النظري لهذه الدراسة وموافقة له ومن بين النتائج المتوصل إليها:

تحمل الأمثال والحكم صورة عن المجتمع بعاداته وتقاليده ومعتقداته تتسم بالصدق والواقعية.

هناك علاقة وثيقة بين القيم والاعتقاد وبين الواقع الاجتماعي.

هيمنة القيم الدينية على الأمثال المجموعة.

يمكن لبعض الأمثال أن تعمل كمعايير لتقييم الفعل الاجتماعي.

Abstract:

Proverbs and citations are the mirror which reflects people's nature and the resume of what they have experienced.

These proverbs have been written briefly in small sentences to narrate long stories that are the main bey to understand human culture and social reality.

Human life is not understood without the values that guide it.

The use of proverbs in the holy quran and the big number of papers written in their subject is the proof of their importance.

that's why comes the interest to collect examples of proverbs and citations to show the human values that control and guide the behavior of individuals, and to actualize the group stability.

So, these proverbs and citations will become a criterion for ethics.

After the analysis and partition of some of these proverbs, I reached some results that translate the theoretical part of this study. Some of these results are:

*proverbs and citations reflect the traditions and the betiefs of any society which are the trath and the reality of this society.

*There is a strong link between the values and beliefs and the social reality.

*The spremacy of the religious values on the other values.

*Some proverbs can be used as criterions to value the social art.

المقدمة:

تعد الأمثال و الحكم الشعبية كنز من التجارب الإنسانية التي مرت على المجتمعات من قديم الزمان تجلت في حوادث و مواقف، استطاع العقل البشري أن يصوغها بجمل قصيرة، ومكثفة الفكرة تدل على استيعاب الإنسان لهذه الحالة، وإدراكها والفطنة لها ومن ثم صياغتها بطريقة أدبية وبلاغية وللأمثال والحكم مكانتها لدى كل الشعوب والأمم، باعتبارها حكمتها، وخلاصات تجاربها و ثمرات العقول من أبنائها. يقول الميداني (ت 518 هـ): " الحكم والأمثال مرآة تعكس طبيعة الشعوب، بكلمات مختصرة قليلة قصصا طويلة، أو تعبيرا عن موقف أو وصفا لحالة، وهي تشمل ميادين الحياة كافة... "[1]

فالأمثال والحكم الشعبية وليدة البيئة ومنها نتلمس قيم وشخصية الأفراد والمجتمعات، وهي مفتاح أساسي وهام في فهم الثقافة الإنسانية وتفسير الواقع الاجتماعي، إذ الحياة الإنسانية لا تفهم إلا من خلال القيم التي تحرك الحياة والتي تظهر في السلوكات، فالقيم قلب الحياة للفعل البشري ولا معنى للحياة بدونها.

كما أن كثرة التأليف في الأمثال واستخدامها في القرآن الكريم يدل دلالة واضحة على أهميتها وهي إحدى أساليب القرآن الكريم في ضروب بيانه ونواحي إعجازه فقد أخبرنا الله تعالى بضرب الأمثال قائلا: " ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون" الزمر 127، وقوله أيضا " وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون" الحشر 21. وقوله" يؤت الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب" البقرة 269 وأخرج البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن القرآن نزل على خمسة أوجه: حلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال، فاعلموا بالحلال واجتنبوا الحرام واتبعوا المحكم وآمنوا بالمتشابه واعتبروا بالأمثال "، ونظرا لأهمية الأمثال والحكم من جهة ورغبة مني في كشف القيم التي تتضمنها أمثال وحكم العامة من الناس من جهة أخرى، دون أن أنسى ميلي إلى الاستشهاد بالأمثال والحكم في مواقف مماثلة، فيكون في الاستشهاد بها متعة لي وحجة على من أخاطب فقد اخترت هذا الموضوع الذي يرمي إلى كشف واستخلاص القيم من الأمثال والحكم الشعبية ووظيفتها في توجيه سلوك الأفراد، وتحقيق الاستقرار الداخلي للجماعة.

وإمكانية اعتبارها معاييرا أخلاقية تكون ضابطا للأخلاق ومنهاجا لها، وهذا من خلال إبراز أهمية القيم في المجتمع.

أولا : الأمثال

تعريف المثل :

لغة : ورد في اللغة العربية بمعان متعددة منها :[2]

المماثلة والمساواة،الشبه، الصفة، الحذو، العبرة.

والمثل مفرد الأمثال، يدل في اللغة على معنى المثل والنظير[3].

اصطلاحا : -

عند العرب: المثل في الإصطلاح هو العبارة الفنية السائرة الموجزة التي تصاغ لتصور موقفا أو حادثة وتستخلص خبرة إنسانية يمكن استعاذتها في حالة أخرى مشابهة لها[4].

عند الغرب:

أما غير العرب فإن لهم رأي في الأمثال لا يختلف في مضمونة عن آراء العرب.

من التعريفات السابقة للأمثال سواء كانت شعبية أي باللغة العامية أو باللغة الفصيحة، نستشف أن للمثل تعريفا واحدا وإن تعددت الكلمات فيه والتعريفات له لدى الأوائل من علمائنا فهو على العموم قول مأثور أتى عن الأولين وعند المحدثين تظهر بلاغته في إيجاز لفظه وإصابة معناه قيل في مناسبة معينة فذهب ذلك القول مثلا يحتذى به في المواقف اللاحقة التي تمر على بني البشر.

وللمثل مضرب ومورد، ويراد بمورد المثل الحالة التي قيل فيها ابتداء، ويراد بمضربه الحالات والمواقف المتجددة التي يمكن أن يستعمل فيها المثل لما بين الحالتين من التشابه[5].

نشأة الأمثال وجمعها في مصنفات:

لا يمكن تحديد تاريخ لنشوء المثل، فقد رافق الإنسان منذ القدم، ولكون الأمثال تعكس روح الجماعة ووجدان الأمة، وبسبب هذه السمة الجماعية الشعبية فهي في الغالب مجهولة القائل.

ومع ذلك يمكن مع بعض الأمثال تحديد أو تقريب عصرها وتحديد قائلها، إذا ما ارتبطت بحوادث تاريخية أو ببعض الشخصيات المعروفة.

ولكن إجمالا يصعب الجزم بتاريخ صدور المثل و تحديد زمنه أو قائله للسمة المشار إليها سالفا ولأسباب أخرى تتعلق بانتقال المثل وسيرورته[6] ونشطت حركة التدوين للأمثال عند العرب في منتصف القرن الاول الهجري لإدراكهم جماليات المثل و أثره على الناس فقد اهتموا به اهتماما بالغا ولاسيما وقد جاء ذكر الامثال في القرآن الكريم كثيرا مما جعل خدام النص القرآني يبادرون لجمع وتصنيف الامثال القرآنية و الأمثال النبوية منذ بدايات التدوين و التأليف حولها.

وقد تنبه المؤلفون العرب الى غيرها من الأمثال العربية القديمة في الجاهلية و العصور الاسلامية والى الأمثال الشعرية وغيرها، وقد عدد ابن النديم في كتابه (الفهرست) عددا كبيرا من المؤلفات في الأمثال منتصف القرن الاول الهجري.[7]

ويعد مجمع الأمثال للميداني أكثرها دقة وتصنيفا وشمولا وضخامة مادة وقد تزايد الإهتمام بالتأليف في الأمثال الشعبية بسبب تزايد الفروقات اللهجية بين أبناء الأمة العربية، وتتشابه الكثير من الأمثال العربية عاميها وفصيحها يمكن ايجاد مقابلاتها من أمثال الشعوب الأخرى وهذا التقاطع ويعود ذلك الى كون الامثال وجدان الشعب وروحه، ولاغرو أن تتشابه كثير من خلاصات الحكم و خبرات الحياة بين بني الانسان في كل مكان.[8]

3- أ نواع المثل:[9] المثل العربي ثلاثة أنواع موجز و قياسي و خرافي

أ/- المثل الموجز: هو القول السائر الموجز الذي يشتمل على معنى صائب، وتشبه فيه حالة مضربه بحالة مورده وهو أول ما يتبادر إلى الذهن عند إطلاق لفظة المثل.

ب/- المثل القياسي: هو ذلك السرد الوصفي الذي يستهدف توضيح فكرة أو البرهنة عليها عن طريق التشبيه أو التمثيل، وهو موجود بكثرة في القرآن الكريم كقوله تعالى: " **مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة ....**" البقرة 261 .

ج- المثل الخرافي : هو تلك الكلمات الموجزة السائرة التي أجراها العرب على ألسنة الحيوان أو بنوها على قصص خرافي نسجوه حوله ومنها قول الضب حين احتكم إليه الأرنب والثعلب حول تمرة : في بيته يؤتى الحكم.

4- فوائد الأمثال :

قال ابن المقفع: " إذا جعل الكلام مثلا، كان أوضح للمنطق وآنق للسمع وأوسع لشعوب الحديث"[10]

وتتجلى فوائد الأمثال فيمايلي :[11]

الأمثال تبرز المعقول في صورة المحسوس الذي يلمسه الناس فيقبله العقل كما ضرب الله مثلا حال المنفق رياء حيث لا يحصل من إنفاقه على شيء من الثواب. فقال : " ...**فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا** " البقرة 264 .

وتكشف الأمثال عن الحقائق وتعرض الغائب في معرض الحاضر كقوله تعالي " **الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس**" البقرة 275.

ج- وتجمع الأمثال المعنى الرائع في عبارة موجزة كقولهم: " اقنع تشبع"

د- يضرب المثل للترغيب في الممثل حيث يكون الممثل به مما ترغب فيه النفوس كما ضرب الله مثلا لحال المنفق حيث قال " **مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل** ...." البقرة261 .

هـ - ويضرب المثل للتنفير حيث يكون الممثل به مما تكرهه النفوس كقوله تعالى في النهي عن الغيبة " **ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه** " الحجرات 12.

و- ويضرب المثل لمدح الممثل كقوله تعالى في الصحابة : " ...**ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار**" الفتح 29

ي- ويضرب المثل حيث يكون للممثل به صفة يستقبحها الناس.

والأمثال أوقع في النفس، وأبلغ في الوعظ، وأقوى في الزجر، وأقوم في الاقناع.

5- وظائف الأمثال:

للأمثال عدة وظائف منها ما يتعلق بالاعتقاد ومنها ما يتعلق بالسلوك فمن حيث الاعتقاد تعمل الأمثال على:

أ – البرهان على وجوب توحيد الله بالعبادة .

ب – والبرهان على البعث والحشر والحساب.

– ومن حيث السلوك : فإن للأمثال وظيفة تربوية تتمثل فيمايلي :

أ – تضبط السلوك، وتوجهه وتؤثر على الفعل وهي بذلك توجه مجرى الحياة إلى أهداف تليق بالإنسان.

ب – وتحقق التماسك بين الأفراد والجماعات فهي بمثابة قوة اجتماعية ذات تأثير فعال عليهم لما تحمله من قيم، يقول الدكتور طلعت إبراهيم لطفي : "هناك وسائل متعددة للضبط الاجتماعي من أهمها التربية، والرأي العام والعرف والقانون والدين والقيم الاجتماعية، وتعتبر هذه الوسائل بمثابة قوة اجتماعية ذات تأثير فعال في الأفراد والجماعات"[12].

ج – كما تقوم بتعرية الباطل وتزييفه، وفضح مواقفه.

د – وبالمقابل تقوم بتوضيح الحق وتثبيته، وإقامة حججه وبراهينه.

هـ – تعمل الأمثال على التحذير من عاقبة كفر النعمة، وبطر المعيشة[13].

و – وتقوم بإبراز القيم الاجتماعية والاقتصادية والدينية ... إلخ للمجتمع.

ي– للأمثال تأثيرعلى المجتمع ولها وظيفة في التنشئة الاجتماعية فهي لا تكشف الخبايا النفسية لكل شعب فحسب بل هي بمثابة قوانين اجتماعية الشبه ملزمة تسن المعايير التي يخضع لها الجميع.

ن– تمارس الأمثال سحرا وتأثيرا خطيرين على الذهنيات وعلى السلوكات من منطلق أنها تمثل حكمة الأجداد.

ل– تقوم بإعادة الاعتبار للثقافة الشعبية بوصفها جزءا لا يتجزأ من الثقافة ورافدا أساسيا من روافد الهوية.

ثانيا: الحكم

1 – تعريف الحكمة:

أ – لغة: الحكمة في اللغة تطلق على عدة معان أشهرها ثلاثة هي: [14]

* **العلم:** يقول العرب : حكم فلان حكما وحكمة، إذا صار حكيما، أي عالما وصاحب حكمة.

* **الإتقان:** إذ يقولون : أحكم فلان عمله إحكاما، إذا أتقنه فهو محكم.

* **المنع:** فيقال: حكمت السفيه، وحكمته، وأحكمته، أي منعته وأخذته على يديه ومن هذا المعنى قيل للحاكم: حاكم لأنه يمنع الظالم من الظلم.

ب – اصطلاحا :

الحكمة قول رائع موافق للحق سالم من الحشو، وهي ثمرة الحنكة ونتيجة الخبرة، وخلاصة التجربة[15] ويكون هدفها عادة الموعظة والنصيحة وهي بهذا المعنى لا تصدر إلا عن فئات خاصة من الناس الذين أوتوا قسطا موفورا من الذكاء ونفاذ البصيرة، وفصاحة العبارة وبلاغتها، كالأنبياء والحكماء والفلاسفة والشعراء ..إلخ[16].

2 – أنواع الحكمة : الحكمة نوعان : [17]

أ – **الحكمة النظرية:** وهي عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم وهي الحكمة العلمية.

ب – الحكمة العملية: هي وضع الشيء في موضعه المناسب على نحو الإتقان وهي أيضا عدم فعل ما لا ينبغي .

3 – الفرق بين الحكمة والمثل :

ومما تقدم من تعريف كل من المثل والحكمة نستطيع أن نلمح عدة فروق بينهما، نلخصها فيما يلي :

أ – أن المثل أساسه التشبيه، أي تشبيه مضربه بمورده، وأما الحكمة فعمادها إصابة المعنى ولا يراعى فيها التشبيه فإن وقع فيها أصبحت مثلا.

ب – أن أسلوب المثل دائما موجز، عكس أسلوب الحكمة الذي قد يطول نسبيا.

ج – أن الهدف من المثل الاحتجاج، ومن الحكمة التنبيه والإعلام والوعظ فالحكمة تسمو في معانيها وألفاظها، هدفها توجيه النفس الإنسانية إلى الكمال، وتدعوها إلى الفضيلة، وتنهاها عن الجهل أو الوقوع في الخطأ، لكن المثل قد ينحط في لفظه ولا يدعو إلى الفضيلة والخلق.

د – أن المثل يصدر عن جميع الناس، بمختلف طبقاتهم الفكرية والاجتماعية أما الحكمة فلا تصدر إلا عن حكيم أو فيلسوف أو أضرابهما. [18]

4 – العلاقة بين الحكمة والمثل : [19]

رغم الفروق السابقة إلا أن المثل والحكمة قد يلتقيان وذلك حين تكون الحكمة موجزة العبارة فيتهيأ لها بذلك أن تسير بين الناس وتتداولها ألسنتهم وأقلامهم فتدخل ضمن الأمثال.

ولذلك فالحكمة نوعان : نوع يسير ويفشو فيصبح مثلا، ونوع لا يتهيأ له ذلك فلا يسمى مثلا .

كقولهم: "السر أمانة"، "أعذر من أنذر"...فهذه العبارات حكم في أصلها أريد بها النصح والإرشاد، ولكنها فشت بين الناس ولاكتها ألسنتهم فصارت أمثالا.

وفيما عدا هذا النوع من الحكم يفترق كل من المثل والحكمة، فهناك كثيرا من الأمثال لا يمت إلى الحكم بسبب وكثير من الحكم ليست من الأمثال في شيء. وبهذا يتبين بوضوح خطأ من ذهب إلى القول بأن الحكمة أعم من المثل. وأن كل مثل حكمة وليست كل حكمة مثلا.

ثالثا: القيم المستخلصة من الأمثال والحكم

بعد تحليل أمثال وحكم العينات المدروسة تم استنتاج القيم التالية:

1-القيم الدينية: وتضمنت قيم صلة الرحم، قيم الخير والحث على فعله، قيمة القناعة، قيمة التعاون، قيم الجيرة، قيمة الاستشارة، قيمة الدوام لله عز وجل.

2-القيم النفسية: القيم المتعلقة بالنفس متنوعة ومتداخلة مع أنواع القيم الأخرى، نجد الإسلام يوجهنا للاهتمام بالنفس من خلال قيم الصبر والعلم والعقل والتمسك بالأمل مهما كانت الظروف، لأنه الدافع نحو الجهد والعطاء وتوجيه السلوكات نحوه.

3-القيم الاجتماعية: وتضمنت قيم الزواج، قيم بناء العلاقات، تحمل نتيجة التطفل، قيم اليتيم وقيم الحرية والوفاء.

4-القيم الاقتصادية: وتضمنت قيمة العمل والمثابرة، قيمة المال، قيم الاقتصاد في المعيشة، وقيمة الارض.

الخاتمة:

لقد وصلت من خلال هذه الدراسة للقيم التي تتضمنها أمثال وحكم العامة إلى جملة من النتائج وهي:

1- في الامثال تتمثل روح الشعب وينعكس فيها الشعور والتفكير وطرائف التعبير، كما تحمل في طياتها صورة عن المجتمع بعاداته وتقاليده ومعتقداته.

2- هناك علاقة وثيقة بين القيم والاعتقاد وبين الواقع الاجتماعي وهو أمر متوقع لأن الامثال في هذا المجتمع تعكس القيم الاسلامية.

3- لذلك كانت القيم المهيمنة على الامثال المجموعة هي القيم الدينية والتي تعد سببا من أسباب بقاء الامثال واستمرار صدقها رغم تغير الزمان والمكان.

4- ومن الاسباب أيضا كون الامثال نشأت نتيجة لتأمل الحياة وأحداثها، ونتيجة للتجارب التي تتمخض عن خبرات ومعارف صحيحة، لذلك نجدها تتسم دائما بالواقعية والصدق ولولا ذلك ما تلقاها الناس بالقبول والاستحسان وما تداولوها واستشهدوا بها في كلامهم.

5- كما نستنتج أيضا بعض الرموز التي تعبر عن أصالة هذه المنطقة، والتي تعد من عناصر ثقافتها: كالمزود، الزير، صناعة الاواني من الطين، لهجة الأمثال، الطرف، المنجل، ...

6- نستنتج أيضا أن صراع القيم هو المصدر الأساسي للمشاكل الاجتماعية وقد أكد هذه العلاقة بينهما العالم فيلر[20].

7- يمكن لبعض الامثال أن تعمل كمعايير لتقييم الفعل الاجتماعي من حيث صحته أو خطئه.

8- ومما لوحظ أيضا تفاوت الامثال تفاوتا كبيرا في وضوح المعنى وخفائه ويرجع ذلك لأسباب ثلاثة: – قلة دوران المثل في الكلام، وغرابة ألفاظه، وجهل أصل المثل وهو أهم الأسباب.

9- مما لوحظ أيضا هو تكرر العديد من الامثال في العينات المجموعة وهذا يعود إلى أنهم ينتمون جميعا الى منطقة باتنة فأصلهم بدويون اهتموابالزراعة وهذا يتجلى في أمثالهم فنجدهم قد استعملوا فيها: المنجل، الزرع، الأرض، المزود، الطين، ... الخ.

الهوامش:

[1] مجمع الأمثال– الطبعة الأولى- 1988 – ص 7

[2]- لسان العرب – ابن منظور، دار صابر بيروت – الطبعة الأولى 2000 محققة 17/14 – مادة مثل

[3]- الموسوعة العربية العالمية – مجموعة من الباحثين 695/2.

[4]- نفس المرجع

[5]- الأمثال العربية – د/ عبد المجيد قطامش ص 14 .

[6]- الموسوعة العربية العالمية 696/2 مادة مثل

[7]- الأمثال العربية – د/عبد المجيد قطامش – ص 41 .

[8]- الموسوعة العربية العالمية 696/2 .

[9]- الأمثال العربية د/ قطامش ص 28 .

- الموسوعة العربية العالمية 296/2 .

[10]- مجمع الأمثال – الميداني 6/1

[11]- الأنترنت (http://www.bab.com/articles/full-article.cfm)

[12]- مدخل إلى علم الاجتماع- د/ طلعت إبراهيم لطفي/دار غريب – القاهرة – ص 234

[13]- الأنترنت (http://www.IID-Alraid.de/Quran/Introqusct/DEMATHQU.HTM)

[14]- الأمثال العربية – د/ عبد المجيد قطامش ص 17/16.

[15]- تاريخ الأدب العربي- أحمد حسن الزيات ص 18

الانترنيت(http://www.Alminbar.c/publishingsystem/printstatic.aspx)

[16]- نفس *المرجع* الأول

[17]- الأنترنت (http://www.mowswoat-suhof-alltxxbeyyn.org)

[18]- الأمثال العربية د/ قطامش، ص 18.

[19]- نفس المرجع ص 19.

[20]- علم اجتماع القيم – د/ محمد أحمد بيومي – دار المعرفة الجامعية 1990 ص 114